## مدخل عام

يعد علم الاتصال من العلوم حديثة النشأة، وهو مدين في وجوده لعدة تخصصات كالرياضيات، علم النفس، علم الاجتماع، المنطق، اللسانيات...الخ، حيث تأخذ دراسة هذه الظاهرة الإنسانية وجهات متعددة. فالاتصال كممارسة بشرية قديم قدم الإنسانية نفسها، لكونه يتصل بالصفات الإنسانية والاجتماعية والنفسية لها، ولكونه أيضا يشكل احد المقومات الرئيسية لقيام المجتمعات وتطورها، واستمرار الحياة الإنسانية، اذ يعد على حد تعبير **دوركهايم** "مخ المجتمع" وعصب الحياة وأوكسجانها الاجتماعي. الشيء الذي جعل الظاهرة الاتصالية موضوع بحث للعديد من التخصصات العلمية. وعلم الاتصال لم يظهر في البداية كعلم مستقل قائم بذاته وانما كان مرتبطا بالعلوم الاخرى وتطور نتيجة للجهود العلمية المبذولة من طرف الباحثين المنتمين لحقول المعرفة الإنسانية والاجتماعية المتعددة، فهو كعلم تتمثل خصوصيته في طابعه "العابر، المتعدد والما بين تخصصي (متعدد التخصصات) فهو النقطة التي تصب وتلتقي فيها العديد من العلوم".

وقد ارتبط تطور علم الاتصال بالتطور التقني لوسائله.

وحسب **Chaffee Berger** فعلم الاتصال: "يدرس انتاج ومعالجة وتأثير الرموز وأنظمة الإشارات عن طريق نظريات قابلة للتحليل، تحتوي على تعميمات شرعية تمكن من تفسير الظواهر المرتبطة بالإنتاج، المعالجة والتأثيرات" وعليه فموضوع علوم الاعلام والاتصال هو انتاج، نقل واستقبال الإشارات، وعلاقة هذه الأخيرة بنظام رمزي وتأثيراتها على السلوكيات، المعتقدات، قيم الافراد والجماعات...الخ.

## مفهوم الاتصال

### ابعاد المفهوم:

أ- **البعد المستند الى اللغة:** كلمة اتصال مشتقة من الكلمة اللاتينية communis والتي تعني في الفرنسية commun أي الشيء المشترك وفعلها اللاتيني communicare الذي يعني يذيع او يشيع او يتصل ومنه اشتقت كلمة communication التي تشير الى الاتصال وتستخدم في اللغتين الفرنسية والانجليزية، ويشير قاموس اوكسفورد Oxford الى ان الكلمة تعني "فعل تشارك أو تبادل المعلومات، الأفكار والمشاعر".

اما في اللغة العربية فاتصال مشتقة من المصدر "وصل" الذي يعني أساسا الصلة وبلوغ الغاية.

ان كلمة اتصال في اللغتين العربية واللاتينية مشتقة من فعل متقارب في المعنى الى حد كبير، اذ يشير الى معنى الصلة والاشتراك والشيوع والانتشار. فالاتصال هنا يعني "عملية نقل المعلومات والأفكار والمعاني من شخص الى آخر، وشيوع هذه الأفكار وانتشارها بينهم".

**ب- البعد التفاعلي:** البعد الاشتقاقي اللغوي يغفل بعدا جوهريا للعملية الاتصالية وهو البعد المتعلق بالتفاعل بين الأطراف المتواصلة. فالعملية الاتصالية بمفهومها الواسع ليست مجرد عملية نقل للمعاني والأفكار من شخص الى آخر وشيوعها وانتشارها بينهم، بل هي عملية أكثر تعقيدا وتشابكا وتداخلا وديناميكية.

ويعد علماء علم النفس الاجتماعي وبخاصة علماء مدرسة التفاعلية الرمزية الذين يهتمون بعملية التفاعل والتواصل الاجتماعي، أكثر الباحثين الذين ركزوا على ضرورة النظر الى العملية التواصلية من منظور مختلف، هو منظور التفاعل، وعليه فإننا نجد أن عملية الاتصال من المنظور التفاعلي تركز بشكل رئيسي على مفهوم **التبادل والحوار والاستجابة** بين أطراف هذه العملية.

**ج-البعد الاجتماعي:** يركز أصحاب هذا البعد على التفاعل الاجتماعي بين الافراد المتواصلة، شأنهم في ذلك شأن علماء النفس الاجتماعي، ولكنهم يولون السياق الاجتماعي أو المناخ الاتصالي أو البيئة الاتصالية التي تتم فيها العملية الاتصالية أهمية أكثر مما فعل زملاؤهم من المدرسة التفاعلية، حيث يصعب، برأيهم، فهم أسباب نجاح الاتصال بين الافراد او فشله دون فهم واضح وتحديد دقيق للسياق الاتصالي أو البيئة الاجتماعية والمادية أو المناخ الاتصالي الذي يسود بين اطراف تلك العملية اثناء تفاعلهم مع بعضهم البعض.

يرى أصحاب الاتجاه الاجتماعي ان الاتصال عملية متدفقة ومستمرة ومتغيرة في حركتها من خلال علاقات تفاعلية بين أطرافها ضمن مناخات اتصالية محددة. وتشمل البيئة الاتصالية:

***البعد النفسي والاجتماعي والثقافي للأطراف المتواصلة** (أي القيم والاعتقادات والاتجاهات والعادات المتعارف عليها في ثقافة من الثقافات المسؤولة عن توجيه سلوك الافراد والتحكم فيه، فضلا عن الأدوار المتوقع ان يسلكها كل فرد منهم في المواقف الاتصالية المختلفة والمتعارف عليها في تلك الثقافة).

***البعد المادي الذي يجمع أطراف العملية الاتصالية** (أي المكان الذي يجمع الافراد، كحجم البناء ومكانه وألوانه وديكوره والاضاءة الموجودة فيه والاثاث، إضافة الى الضوضاء أو الحر أو البرودة أو الهدوء أو الازدحام...الخ).

*البعد المتعلق بتوقيت التواصل على المستوى الزمني (فالأفراد في العادة يتواصلون وفقا لإيقاع التوقيت المفضل لهم، حيث نجد من يفضل التواصل خلال فترة الصباح وهناك من يفضل فترة المساء او الليل. ان التواصل في الفترة الزمنية او التوقيت الذي لا يتوافق مع الفرد سينجم عنه مشكلات اتصالية غير متوقعة).

**د-البعد الرمزي:** تنصب اهتمامات العلماء الذين ينظرون الى الاتصال من هذا المنظور على ضرورة فهم أطراف العملية الاتصالية للغة التي يستخدمونها حين يتواصلون مع بعضهم، وعلى أهمية فهم ما وراء تلك اللغة من دلالات ومعان ورموز في الوقت نفسه. واللغة في نظر هؤلاء العلماء ليست سوى نظام رمزي اجتماعي متكامل يجعل الانسان قادرا على التواصل مع الآخرين وتبادل المعرفة معهم.

والتواصل بهذا المعنى هو عملية ينخرط فيها كل من المتحدث والمستمع بهدف التغلب على نواحي الغموض واللامعنى الذي قد ينشأ بينهما. فعلينا ان نتوقع ان يساء فهمنا، مثلما علينا ان نتوقع ان نسيء فهم غيرنا. وعلينا ان نحاول التخلص من سوء الفهم قدر الإمكان وذلك بمسائلة الآخرين عن قصدهم حتى ندرك الحقيقة.

إضافة الى ضرورة الاحتكام الدائم الى السياق الذي يحتضن دلالات الرموز والمعاني لتصبح المقياس الحقيقي للمعنى المحمل في ثناياها، خاصة في حال وجود أكثر من معنى للألفاظ، فالسياق اللغوي اذا مهم جدا في تحديد الدلالات، ولا يمكن اشتقاق المعنى الحقيقي لهذه الالفاظ إلا من خلال السياق اللغوي.

وعليه يعرف الاتصال حسب هذا البعد بأنه: "**عملية تفاعل وتبادل للمعاني والرموز التي تتفاعل بها الرسائل والاشخاص والثقافات لفهم حدوث هذه المعاني وتفسيرها**".

**هـ-البعد الشمولي:** أي النظر الى الاتصال بوصفه عملية شمولية متكاملة تشير الى التدفق والديمومة والديناميكية والتداخل والتبادل بين اطراف هذه العملية، فهو عملية تفاعلية وحوارية وتبادلية متدفقة تشترك فيها كل اطراف العملية الاتصالية من اجل تحقيق أهدافها. إضافة الى الاهتمام بتحديد دلالات المعاني والرموز المستخدمة في العملية الاتصالية. فالاتصال هو "**العملية الاجتماعية التي يتم بمقتضاها تبادل المعلومات والآراء والأفكار في رموز دالة بين الافراد والجماعات داخل المجتمع وبين الثقافات المختلفة لتحقيق اهداف معينة**".

*تبعا لتعدد ابعاد مفهوم الاتصال تعددت التعاريف الاصطلاحية له وفيما يلي ايراد لبعض هذه التعاريف:

- **تشارلز كولي:** "الاتصال هو ذلك الميكانيزم الذي توجد من خلاله العلاقات الإنسانية وتنمو وتتطور الرموز العقلية بواسطة وسائل نشر هذه الرموز عبر المكان واستمرارها عبر الزمان."
- **جورج لندبرغ:** " تشير كلمة اتصال الى التفاعل بواسطة العلامات والرموز، وتكون الرموز عبارة عن حركات او صور او لغة او أي شيء آخر يعمل كمنبه للسلوك، أي ان الاتصال هو نوع من التفاعل الذي يحدث بواسطة الرموز".
- **ستانلي:** "عملية تبادل تفاعلي بين أطراف ذات لغة مشتركة، وليس عملا فرديا منعزلا. حيث تقاس فعالية الاتصال في ضوء قدرة عملية التبادل على احداث حالات تفاعل وتناغم وانسجام وفهم مشترك للرموز المتبادلة".
- **بيرلسون وستاينر:** "عملية نقل المعلومات والرغبات والمشاعر والمعرفة والتجارب، اما شفويا أو باستعمال الرموز والكلمات والصور والاحصائيات بقصد الاقناع أو التأثير على السلوك".
- **تشارلز رايت:** "هو عملية نقل المعنى او المغزى بين الافراد".
- **هوفلاند:** "هو العملية التي ينقل بمقتضاها الفرد القائم بالاتصال منبهات (عادة رموز لغوية) لكي يعدل سلوك الافراد الآخرين (مستقبلي الرسالة)".
- **مايكل ويسترون:** "نقل المعاني وتبادلها باي أسلوب يفهمه اطراف الاتصال ويتصرفون وفقه بشكل سليم".
- "العملية او الطريقة التي يتم عن طريقها انتقال المعرفة من شخص الى آخر، حتى تصبح مشاعا بينهما وتؤدي الى التفاهم بين هذين الشخصين او أكثر، وبذلك يصبح لهذه العملية عناصر ومكونات واتجاه تسير فيه، وهدف تسعى الى تحقيقه ومجال تعمل فيه ويؤثر فيها".

*مجمل التعاريف توضح ان الاتصال عبارة عن عملية تستلزم وجود او انشاء علاقات ما بين المرسل والمتلقي من خلال الرسالة المرسلة مهما كان نوعها او طريقة ووسيلة نقلها، ما يترتب عنه حدوث أفعال وردود أفعال تصب في اطار هدف معين.

والاتصال عموما يتسم بكونه:

* مستمر ويرتبط باستمرار الحاجات الإنسانية وتجددها.

*عملية تفاعل معلوماتي.

*هادف.

*منتشر في الزمان والمكان (أي ان الفرد يتصل بشكل دائم وفي كل مكان بما هو محيط به).